

١٥



# جَوَابِيَّةُ يَدِّ الْحَاكِمِ

الرَّسُولِ ﷺ يُصَاهِرُ الْيَهُودَ

بِسُلْطَانِ د. وَجْهِةِ يَفْقُوهِ الْعِلْمِ

بِرَبِيْعِيَّةِ د. عَبْدِ الْقَدِيرِ سَيِّدِ

إِسْرَائِيلَ، أَحْمَدَ ز. مَسْحُوطِيسَ

كَلِمَةُ الْوَقْفِ الْمَكْتَبَةُ الْوَقْفِيَّةُ

لو أردنا أن نضرب المثل على إنسانية الرسول ﷺ وعظمة أخلاقه ، لوجدنا مئات القصص والمواقف التي تُبرهن على ذلك ، على أن قصة زواج الرسول ﷺ من جويرية بنت الحارث اليهودية الأصل ، تعد من أفضل النماذج ، التي تؤكد على عظمة هذا الرسول ﷺ وسمو أخلاقه ، حيث أثبت بهذا الزواج ، أن نفسه لا تعرف الانتقام أو الحقد ، بل تدعو إلى التسامح والحب والسلام ..

فيها هو ذا ﷺ يتزوج جويرية بنت الحارث بن حيراز سيد بني المصطلق ، الذي قاد جموع اليهود ، وتآمر معهم على قتل محمد ﷺ مهما كان الثمن .. ولم يقابل الرسول ﷺ هذا الصنيع بما يستحقه ، بل ضرب المثل في السماحة والعفو ..

ولتبدأ القصة إذن من بدايتها .

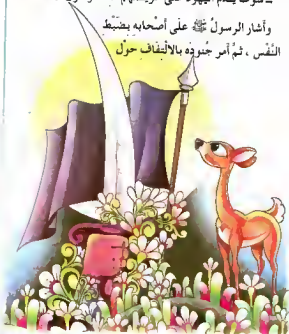
فقد وضع يهود بني المصطلق خطة لاغتيال الرسول ﷺ ، برغم العهد التي كانت بينهم وبينه ، وعلم الرسول ﷺ بذلك ، فجمع أصحابه وأسرع في الخروج ، لكي يفاجئوا اليهود في أماكنهم .

وَجَمَعَ الصَّحَابَةَ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَالْقَيْظُ يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ  
بِسَبَبِ غَدْرِ الْيَهُودِ ، وَقَالُوا :

— سَوْفَ يَنْدِمُ الْيَهُودُ عَلَى تَحْرِيبِهِمْ خِذَ الرَّسُولِ ﷺ .

وَأَشَارَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى أَصْحَابِهِ بِضَبْطِ

النَّفْسِ ، ثُمَّ أَمَرَ جُنُودَهُ بِالِاتِّفَاقِ حَوْلِ



ماء المريسيع ، لكي يضمن المسلمون وجود الماء ،  
وفرض الحصار على يهود بني المصطلق ، لكي  
يستسلموا له ، وراح يهود بني المصطلق يقذفون المسلمين  
بنيالهم ولكن دون جدوى ، فقد كانت نيالهم لا تُصيب  
أهدافها ، بينما راح اليهود يصاقطون أمام سهام المسلمين  
المتتالية .

وأمر الرسول ﷺ المسلمين بالهجوم الشامل على قراعت  
اليهود ، فاندفع المسلمون بقوة ، وحملوا على الأعداء  
حملة قوية ، وأخذت سيوفهم تحصد رقاب اليهود ، فمات  
منهم عدد كبير ، وهرب منهم عدد أكبر ، أما من بقي  
منهم فقد استسلموا للمسلمين ، فأخذهم المسلمون أسرى .

وبعد أن حُفقت هذه الغزوة أهدافها ، أمر الرسول ﷺ  
المسلمين بالعودة إلى المدينة المنورة ، فرجعوا وهم  
يحملون ما أنعم الله عليهم من الغنائم والأسرى ، وكان من  
بين الأسرى جويرية بنت الحارث بن أبي ضار ، قائد بني  
المصطلق وزعيم المؤامرة ضد رسول الله ﷺ .

وأخذ كلُّ مسلم نصيبه من العناجم والأسرى ، فوَقعت  
 «جُويرية بنت الحارث» ، في سَهْم ثابت بن فَيْس ، فطلبت  
 منه أن يَفديها بِالْمَالِ وَيَتْرُكها حرةً لوجهِ اللهِ ، لكن ثابت  
 ابن فَيْس اشْتَرَطَ عَلَيْها أَنْ تَدْفَعَ مالاَ كَثِيراً لِكَي تَفْدِيَ  
 نَفْسَها ، بعدَ أَنْ عَلمَ أَنَّها ابنةُ زعيمِ بني المصطلق ،  
 فَعَجَزتْ عَن ذلكَ ، فَقدَّ فَرُّأبوها مَعَ القارِينَ وَليسَ مَعها مِنَ  
 المَالِ ما تَفْدِي بِهِ نَفْسَها .



وسألت أسيرةً كانت معها في الأسر :

- ما العمل ؟ وهل أصبح أسيرةً وأنا بنتُ زعيمِ بني المصطلق ؟

فقال لها :

- اذهبي إلى محمد ، واعرضي عليه الأمر ، فقد يساعدك .

وتعجبتْ جويريةٌ من كلامِ جارتِها وقالت في دهشة :

- كيف أذهبُ إلى محمد ، وأبي هو الذي قادَ جموعَ اليهودِ ضدَّه ؟

فقال لها :

- لن تندمي ، فإن قلبَ محمدٍ لا يعرفُ الحقدَ أو الانتقامَ !

وعملتْ جويريةٌ بنتُ الحارثِ بمشورةِ صاحبِها ،

وذهبتْ إلى رسولِ الله ﷺ وقالت له :

- يا رسولَ الله ، أنا جويريةٌ بنتُ الحارثِ بنِ أبي ضَرَارٍ

سيدِ بني المصطلق ، وقد أصابني من الأيلاءِ ما قد علمتُ ،

فوقعتُ في نصيبِ ثابتِ بنِ قيسٍ ، فكاتبتهُ على نفسي .

فَسَأَلَهَا الرَّسُولُ ﷺ عَمَّا تُرِيدُهُ كَيْ يَقْضِيَهُ لَهَا فَقَالَتْ :  
- لَقَدْ جِئْتُ أَسْتَعِينُ بِكَ لِنَدْفَعِهَا عَنِّي وَتَرُدُّهُ إِلَيَّ حُرْمَتِي  
وَنَظَرَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى مَا هُوَ أَهْبَعُ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ :  
- هَلْ لَكَ فِي خَيْرٍ مِمَّا طَلَبْتِ ؟



فَقَالَتْ جُوَيْرِيَةٌ :

- رَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟

فَقَالَ ﷺ :

- أَدْفَعُ كِتَابَتَكَ وَأَتَزَوَّجُكَ !

وَلَمْ تَصْدُقْ جُوَيْرِيَةٌ مَا تَسْمَعُ ، إِذْ اسْتَحْوَلُ مِنْ مُجْرَدِ  
أَسِيرَةٍ عِنْدَ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى زَوْجَةِ لَسِيدِ الْبَشَرِ وَرَسُولِ  
رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَقَالَتْ عَلَى الْفَوْرِ :

- نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

وَعَلِمَ الْمُسْلِمُونَ بَعْبًا زَوَّاجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ جُوَيْرِيَةٍ  
بِنْتِ الْحَارِثِ الْيَهُودِيَّةِ ، فَأَذْرَكُوا أَنْ وِرَاءَ هَذَا الزَّوْجِ حِكْمَةٌ  
سَامِيَةٌ ، وَقَالُوا فِي تَسَامُحٍ :

- إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، صَارَ يَرْبِطُهُ بِالْيَهُودِ نَسَبَ رَضِيهِمْ ،  
وَيَجِبُ أَنْ نَطْلُقَ مَنْ فِي أَيْدِينَا مِنَ الْأَسْرَى إِكْرَامًا لِهَذَا  
النَّسَبِ وَهَذِهِ الْمَصَاهِرَةُ !

فَأَرْسَلُوا مَنْ كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ وَقَالُوا :



هم أسهار رسول الله ﷺ !

فكان هذا الزواج سبباً في عتق مائة أسرة من اليهود ،  
كان مصيرها إما الأسر وإما القتل ، وبذلك كان هذا الزواج  
الميمون بركة على عدد كبير من اليهود ، وفرصة لسائر  
اليهود ليؤمنوا في أخلاق هذا الرسول العظيم ، الذي



ضربَ لهمُ المثلَ الأسمى في السَّماحةِ وضبطِ النَّفسِ ،  
وما زالَ يطمعُ في هدايتهمُ وتوبتهمُ .

ولذلك قال العلماءُ تعليقاً على هذا الزَّواجِ المباركِ :

— ما من امرأةٍ كانتَ أعظمَ بركةً على قومها من جويرية  
بنتِ الحارثِ ، حيثُ أُعتقَ بزواجها من رسولِ اللهِ ﷺ ،  
أهلُ مائةِ بيتٍ من يهودِ بني المصطلقِ !

وبعدَ مدَّةٍ طلبَ والدُ جويريةَ الأمانَ من الرسولِ ﷺ  
فأعطاهُ إياهُ ، فجاءهُ وقالَ له :

— يا رسولَ اللهِ ، أصبتمُ ابنتي ، وهذا فِداؤها . فإنَّ ابنتي  
لا يُسَى مثلها !

فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ :

— أرايتَ إنْ خيرتها ، أليسَ قد أحسنتُ ؟

فأجابهُ الحارثُ :

— بلى يا رسولَ اللهِ .

فأتى النبيُّ ﷺ بجويريةَ بنتِ الحارثِ فسألها أبوها :

يا بنتي قد جئت بفدائك ، فهل تاتين معي أو تبقين مع

محمد ؟

فقلتُ جوهريةُ :

لقد اخترتُ الله ورسولَهُ .

وبهزتُ أخلاقُ محمد ﷺ الحارث بن ضرار حيثُ كان  
بأسنطاعته أن يحتفظَ بابنته أسيرةً عندهُ ، لكنه ﷺ حررها



من الأسر ، وتزوجها وأعاد إليها كرامتها ، وجعلها أما  
للمسلمين ، شأنها شأن عائشة وحفصة وزينب .

ولم يلبث الحارثُ طويلاً حتى دخل قلبه الإسلام ،  
فقال بأعلى صوته :

— أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ا

ومنذ إعلان هذا الزواج المبارك ، صارت للأسرى من  
اليهود حرمةً لدى المسلمين ، فهم وإن كانوا قبل هذا  
الزواج أعداءً للرسول ﷺ ، إلا أنهم أصبحوا أصحاباً له ﷺ  
بهذا الزواج ، وهذه هي الحكمة التي من أجلها تم هذا  
الزواج ، وهي تدلُّ على سعة إدراكه ﷺ ، وحسن سياسته  
وتقديره للأمور ، فقد كان هذا الزواج دعوةً للإسلام بين  
قوم امتلأت قلوبهم بالحقد والكراهية .

لقد خرج الرسول ﷺ مُهرَّد نأديب يهود بني المصطلق ،  
ولم يكن يريد شيئاً غير ذلك ، فأعانه الله عليهم ونصرة  
نصراً سوزوا ، لكن هذا النصر ، لم يكن هو كل ما يريده  
الرسول ﷺ ، بل كان يطمع في انتصار أعظم من هذا ،

وهو انتصاره على هذه الأرواح الشريرة وغرس قيم الدين  
ومبادئه في نفوسهم .

إنه كان يريد تغيير واقع هؤلاء ، فيصبحوا جنوداً من  
جنود الحق ، لا آلة عمياء تحركها الكراهية وبغيت بها  
الشیطان ، يريد أن تتطهر قلوبهم ونفوسهم من هذا المكر  
وهذا الخبث ، ولذلك فقد خرج ﷺ ،



والأملُ بخدوة في تحقيق ذلك ، وحقاً لقد أثمر زواج الرسول ﷺ النتيجة الطيبة التي كان يتمناها ، فقد ناب كثيرٌ من اليهود إلى وشدهم ، ونسى المسلمون كل ما سبق منهم ، فصفحوا عن ماضيهم وتسامحوا معهم .

وكان لهذا التسامح أكبر الأثر في نفوس اليهود ، حيث ظلوا متذكّرين لهذا الصنيع ، وهذا الموقف الإنساني النبيل ، فتغيرت نفوس كثير منهم .

وأودت جوهرية بنت الحارث \* أن تكفر عن ماضيها ، حيث كانت تعيش في ظلمات وضلال ، فراحت تكثُر من العبادة وتتقرب إلى الله بصالح الأعمال ، فهي الآن زوجة لسيِّد كريم ، فما أحوجها إلى مزيد من الطاعة والعبادة حتى تكون جديرة بهذا الفضل .

ولذلك فقد كانت جوهرية تقضي أكثر وقتها في الصلاة ، وقد مر بها الرسول ﷺ وهي قائمة تصلي في المسجد ، ثم مر عليها بعد فترة وقد انتصف النهار ، وهي ما تزال على هذا الحال ، فتعجب الرسول ﷺ وقال لها :

مَنْ زَلَّ عَلَى ذَلِكَ ؟

قَالَتْ :

نَعَمْ .

فَقَالَ ﷺ :

مَنْ زَلَّ عَلَى ذَلِكَ ؟ سُبْحَانَ اللَّهِ عَدَدُ خَلْقِهِ ،

وَرِضَا نَفْسِهِ ، وَزِينَةُ عَرْشِهِ ، وَمِدَادُ كَلِمَاتِهِ !



فكانت جويرية (رضي الله عنها) لا تترك هذا الدعاء الذي علمها إياه الرسول ﷺ ، كما كانت جويرية كثيرة الصيام ، دخل عليها رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهي صائمة ، فقال : أصمت أمي ؟ قالت : لا . قال : لتصومين غدا ؟ قالت : لا . قال : فأفطري !

فعلمها الرسول ﷺ ، وعلم كل المسلمين ، أن صيام يوم الجمعة بمفرده غير جائز ، إلا إذا كان مصحوبا بيوم قبله أو بعده .

وعاشت جويرية (رضي الله عنها) حتى عام خمسين للهجرة ، وتوفيت عن عمر يقارب الخامسة والسعين ، وقد تزوجها الرسول ﷺ في السنة السادسة ، رحمها الله رحمة واسعة ، ونفعنا بسيرتها ، وملأ قلوبنا بالنور والهداية !

(تَمَّتْ)

الكتاب القلام

صفية بنت حيي بن أخطب (١)

رقم الإصدار : ١٧١٩١٦٦

الطبعة الأولى : ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢